العدد 1557 - السنة السادسة
الجمعة 30 جمادى الآخرة 1434 - الموافق 10 مايو 2013
Friday 10 May 2013 - No.1557 - 6th Year

شاعر سياسي أدخل هذا الغرض إلى الشعر النبطي وفرضه على الناس

محمد العوني الشاعر الفتنة الداهية

■ تميز العوني بالشعر السياسي حتى أصبح الشاعر وحيد عصره بهذا اللون ■ نظم في آخر أيامه قصيدته المشهورة التوبة وهي واحدة من أعظم قصائده

هو محمد بن عبد الله العوني - شاعر علم - ولد العوني في بريدة حوالي سنة 1261هـ، ولم يكن من عائلة مشهورة بل كان والده يعمل بالبناء ، ولكن نبوغه بالشعر بوأه مكانة كبيرة لم يكن يحلم بها فعرفه الناس وأصبح له شأن كبير بينهم نشأ العوني في وقت كانت تسوده الحروب والفتن فتأقلم مع وقته ووظف شعره لخدمة الفريق الذي يميل معه ضد الآخر وقصائده الحماسية لها صداها بين الناس ، ويكفينا من شعره قوة تأثيره حتى أنه سحب "عقيلاً" وهم أصلاً من أهل القصيم سحبهم من الشام ليحاربوا ابن رشيد في القصيم بقصيدته المشهورة «الخلوج» والتي استوحى فكرتها من صوت ناقة «خلوج» مات ولدها في قصر المغفور له الشيخ مبارك الصباح حين كان لاجئاً عنده . . . ولما سمع صوت الناقة استوحى فكرة قصيدته تلك وبعث بها إلى أهل القصيم بالشام فما كان منهم إلا أن قتموا بتصفية تجارتهم وتوجهوا لحرب ابن رشيد بالقصيم بعد سماعهم للقصيدة والتي منها هذه الأبيات

قل داركم من عقبكم تندب الثرا
تبكي على الماضين واعزتالها
لعبوا بها الأجناب لا رحم حيكم
والبيض بالبلدان شتت لحالها
شيبانكم تضرب على غير موجب
من عقب كبر الجاه تنتف سبالها
أولاد علي اليوم ذا وقت نفعكم
لا رحم أبو نفس تتاجر بمالها
أولا علي أن الليالي قصيرة
ولا للفتى غير الثنا من نواها
أولاد علي اليوم ما هو بباكر
قوموا بعزم الليث ماضي أفعالها

وقد كان العوني بقصيدته تلك ذكياً لدرجة غير معقولة فقد ذكر ضمن القصيدة كل الشيوخ والأمراء الذي سوف يمر «بنو عقيل» فى ديارهم فى طريق عودتهم من الشام إلى القصيم وبالغ في مدحه لهم فأمن خط سيرهم وضمن أن أحدا لن يعترض طريقهم بالعودة وبالفعل عادوا وحاربوا ابن رشيد بالقصيم . وقد تميز العوني بالشعر السياسي حتى أصبح الشاعر وحيد عصره بهذا اللون الذي كانت له مقدرة عجيبة على صياغته بشكل حماسي يلهب النفوس ويقلب الموازين ، ويعاب عليه أنه متقلب بالاتجاهات الفكرية والانتماءات السياسية فتارة مع هؤلاء وتارة أخرى مع أولئك ولم يكن يستقر في فكر واحد ولو لم يكن كذلك لما انتهى به الأمر إلى السجن حيث سجنه المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود ليكفي الناس شره فلم يكن يحل في مكان إلاّ وحلت به الفتنة حتى يرحل فسجنه الملك عبدالعزيز وتوفي بعد خروج من السجن بأيام قلائل سنة 1342هـ عن عمر يفوق الثمانين عاماً عرف العوني كشاعر سياسي من الدرجة الأولى وقد أدخل هذا الغرض إلى الشعر النبطي وفرضه على الناس من خلال إبداعاته غير المحدودة وليس معنى ذلك أنه لم ينظم في غير هذا الغرض بل كان العوني متمكنا في كل معنى يتطرق له بشعره كقوله من قصيدة له.

حل الرحيل وجل بالقلب ولوال
تذكير توكير التفاكير والقيل
مما جرى قلب الخطا بالحشا جال
من واهج يزفر كما زفر سجيل
تمايزت كل الكواكب بالأكمال
تبين لبدري على داجلي الليل
وأنا وقلبي بين نوجات وأمثال
من بيننا تقفي وتقبل تعاليل
أنهى وهو ينهى ولا أدري من الضال
ولا أدري من اللي عقب العدل والميل

وكان العوني في شعره يذكر أنه من قبيلة " شمر" ويؤكد ذلك بقوله :

على بني عمي سنادي عن الميل
نطاحت الكايد كبار الوهايل
أقفوا كما مزن ثقيل المخاييل
من زاعج الغربى حدر له شعايل
شمر مقابيس المنايا هل الخيل
عصم الروايا مقحمين الدبايل
هم حاصلي لا كحلن المحاصيل
غوش الجبل خزنى غلامين حايل

ولما سجن «العوني» تحول شعره إلى المدح والحكم والنصائح نظراً ليأسه من الحياة السياسية بعد أن فشل في تحقيق ما كان يصبوا إليه بشعره . . . ومن داخل السجن وجه القصائد بالمدح طالباً الرحمة لعله يخرج من السجن فلم يقبل أحد من ممدوحيه الوساطة له وفى آخر أيامه نظم قصيدته المشهورة والتي عرفت فيها بعد بـ" توبة العوني وهي واحدة من أعظم قصائده وأكثرهن خلوداً وفيها توجه إلى الخالق جل شأنه تائباً راجياً عفوه ورضاه . . . وبعد إتمامه للقصيدة صدر أمر العفو عنه فخرج من السجن إلا أنه لم يعش بعد خروجه إلا شهور قلائل فقد وهن وأنهكه السجن فتوفي بعد وقت بعد خروجه من السجن بأيام قلائل سنة 1342هـ.

قصيدة التوبة :

ياالله يا والي على كل والي
يا خير من يدعى لكشف الغليله
يا مالك المخلوق محصي الرمالي
الكون والدنيا وما به فهي له
ما كان له أول وما كان تالي
ملكه يدبر به على ما يبي له
يقضي ويمضي قادر ما يبالي
يفعل علىً ما راد محدٍ كفيله
يرفع وياضع ما يشأ ما يسالي
ولحدٍ فعل من دون أمره فعيله
أشهد فلا غيره إله ولا لي
رب سواه لايذ نلتجي له
ماله شريكٍ جل فوق متعالي
وعلمه أحاط بدقها والجليله
يا واحدٍ فوق السموات عالي
من سطوته كل الخلايق ذليله
يا فارج الشّدة بضيق المجالي
افرج لعبدك يا منجي خليله
وانظر بعينك يا أبا الافراج حالي
فردٍ غريبٍ والمصاغي قليله
يا راحم ارحم شيبتي وانخذالي
ويا جابر اجبر عثرتي والفشيله
والطف وناظر يا الوالي في سوالي
تقطعت مالي سوى الله دليله
وحيد مالي غير ظلك اظلالي
ذليل مالي غير عزك وسيلـ
لا اخوان لا عمان لا من خوالي
ولا من صديقٍ للأمور اشتكي له
لو كان ما يجلي سوى الله جالي
ما شفت عبدٍ هرجته لي جميله
تقطعت وذم العرى والمدالي
من جملة الخلان والمستخيل
قضت من المخلوق محدٍ بقالي
إلا أنت ياللي ما يخلي عميله
عادوني كل الخلق شرق وشمالي
ولا بقى غيرك ذرى نلتجي له
شافوني مذلول وحيدٍ وخالي
دلالي من الفزعات مومي شليله
وأنا بعون الله متان احبالي
متجودٍ بحبال منشي المخيله
واليوم كل له صديق اموالي
أخوال واقراب وآل وجبيله
وأنا لي اللي زابنه ما يسالي
جزل العطا مبري العظام العليله
إلى دعوا حيانهم فر بالي
رفعت طرفي له وقمت اشتكي له
والى ترجوا هم رجيته بحالي
بقلبي وعيني والعروق النحيله
والى تنادوا بينهم بالتعالي
ناديت بإسمك يامنشي المخيله
من لاذ بك ما حال بالضجيج تالي
صار أول لو هو عظامه هزيله
أنا دخيلك يا عظيم الجلالي
حاشا كرم جودك يضيع دخيله
تبريت من غيرك بحالي ومالي
ولجيت أنا بحماك عن كل حيله
من شر خلقك لايذ بك ولا لي
غيرك ملاذ شامخ ينعني له
يارب مالي غير جودك ولا لي
وإن كان خليتن فلا لي عقيله
يا عالم كل الخطا والعدالي
اشوف مالي غير عدلك وسيله
ولا تواخذني بماضي أفعالي
يا ساتر العورات مضفي جميله
لو كان ذنبي راجح بالجبالي
عفوك عظيم ليس ذنبي عديله
طالبك تقبل توبتي عن خمالي
وطالبك عني كل كربٍ تزيله
مولاي لا ملجأ ولا ملتجا لي
إلا انت ياللي ما يذير نزيله
افرج لمن بالحبس دونه ارجالي
ابواب واقفال وحصونٍ طويله
في وسط دبابٍ وحيدٍ الحالي
أظلمٍ ولا أدري وش نهاره وليله
متروك مالي من يرد المقالي
لا أحد يبي قولي ولا أحدٍ يشيله
ولا أحد غيرك عليه اتكالي
إلا أنت يامنجي دريك الدبيله
ما دمت تنظرني وتسمع مقالي
ما ضاق عبدٍ يدري انك وكيله
يا فزعة المضيوم منشي الخيالي
يا فارج الشدة ولو هي ثقيله
يا سامع بالليل حسّ النمالي
وصوتٍ يونس في البحور الهويله
دعاه وضرب الموج مثل الجبالي
فوقه وجاب لدعوته وتهليله
يا مصرف الأيام هي والليالي
في قول كن يجري القلم بتعديله
أدعوك بأسماك العظام الجزالي
وبحق ما خصيت لك من فضيله
وبحق قدرة عظمتك والجلالي
وبحق نورك والخصال الجميله
وتزيل كرباتٍ علينا ثقالي
تقطعت مالي سوى الله دليله
آمن على قلبٍ يجول اجتوالي
يا مسكن الروعات سكن جفيله
اسرع علينا يا قريب النوالي
لا تجعل الشّده علينا طويله
يا فارج الكربه بضيق الحوالي
أومر لعبدك بالفرج واتعجيله
واجل الأمور المعضله والجلالي
عن كل عبدٍ مسلم يندعي له
صلاة ربي عد نبتٍ الرمالي
على نبي وضح الله دليله
صفوة قريش اللي مشّى بالعدالي
نبينا المعصوم عن كل ميله
وآله مع الأصحاب العظام الجزالي
وما ونّ من شكواه راعي عليله

■ لما سجن تحول شعره إلى المدح والحكم والنصائح نظراً ليأسه من الحياة السياسية
■ يعاب عليه أنه متقلب بالاتجاهات الفكرية والانتماءات السياسية